



قراءة خاتمة لام القرآن

كتبها الدكتور
علاء الدين حيدر الرحمن



قراءة خاشعة

للأم القرآن

كتبها

الدكتور بهاء الدين عبد الرحمن

٢٢٧,٦ عبد الرحمن ، بهاء الدين عبد الوهاب
٢٦٩ ع قراءة خاشعة لأم القرآن ، بهاء الدين عبد الوهاب
عبد الرحمن . - ط ١ . - الرياض : دار طويق ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م
٣٠ ص ؛ ١٢ X ١٧ سم
ردمك ٤ - ١٩ - ٦٧١ - ٩٩٦٠
١ . القرآن - سورة الفاتحة - تفسير
أ. العنوان

رقم الإيداع : ١٤ / ٠٣٤٧
ردمك : ٤ - ١٩ - ٦٧١ - ٩٩٦٠

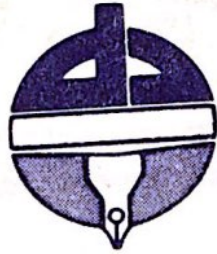


حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ

الناشر



دار طويق للنشر والتوزيع
الناصرة - شمال مبنى وزارة الخارجية

هاتف: ٤٠٤٢٥٥٥

فاكس: ٤٠٣٤٢٣٨

ص. ب ٣١٩٣٤

الرياض ١١٤١٨

وعاء

اللهم إله طريقي ليرتد حسيلاً كلب

تظعن إلى وضع تفسير لكتابتك

فتقبل مني إلهي هذه القراءة لفاتحة

لكتابتك ، واجعلها فاتحة لقراءة جميع

السور في قرآنك . آمين

قراءة خاشعة لأمر القرآن ٥

فاتحة القراءة

إلهي لك الحمد، وعليك مني الشناء، ولأنَّ حمدي
عن بلوغ ما ينبغي لك من الحمد قاصر، وعجزني عن
إحصاء الشناء عليك ظاهر، أقول: لا أحصي ثناء عليك
أنت كما أثنت على نفسك، فلك الحمد كما ينبغي لجلال
وجهك وعظيم سلطانك، راجياً أن تُعدَّ لي من الثواب ما
أعددتَه لأول من علَّمته أن يحمّدك على هذا الوجه من
عبيدك فألقاه يوم ألقاك (١).

وأدعوك إلهي أن تصلي وتسلم على مَنْ هو أحبُّ إليَّ
من نفسي والناس أجمعين سيدي محمد رسولك المبعوث

(١) ينظر حديث العبد الذي حمد الله على هذا الوجه وما جرى للملكين
عندما سمعاه ص ٢٢ - ٢٣ .

رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن اقتدى به من
عبادك المؤمنين إلى يوم الدين .

وأدعوك إلهي أن تفتح علي من بركات نورك وعلمك
ما يجعلني بمنأى عن ظلمات الجهل ، وعمايات العجب
والغرور ، فما آتيتني من علم فضلٌ منك وإحسانٌ لم أوتهُ
بحولٍ مني ولا طولٍ ، وما يبدر مني من خطأ أو خطل فهو
دليلٌ علي أن الأصل فيَّ هو الجهل ، وأن العلم منك
سبحانك فضلٌ ونعم الفضل .

أما بعد فإن سورة الفاتحة من السور الجليلة التي
اختصها الله من بين سور كتابه الكريم القرآن العظيم بأن
جعلها السورة التي يجب تلاوتها في كل ركعة نركعها في
الصلاة ، وجعل فيها من الأسرار ما يجعل الإنسان يزداد
لها حباً ومعها تآلفاً مع كثرة التكرار ، وهذا مظهر من
مظاهر إعجاز القرآن الذي لا يبلى ولا يُمل مهما أعاد

الإنسان قراءته، بل كلما أكثر الإنسان من قراءة القرآن
ازدادت رغبته في تلاوته، واشتد حبه لها حتى يصل إلى
درجة الهيام فيصبح القرآن هجيراً، ولا يجد راحته إلا مع
القرآن.

وإذا كان القرآن العظيم هذا شأنه فإن فاتحته تظهر هذه
السمة في أجلى مظهر وأسناه، فمن منا لا يجد هذه
السورة بين حنايا نفسه، ومن منا لا يشعر حين يقرأها بأنها
تنسرب بين خلايا جسمه، حتى يحس أن كل خلية من
خلاياه تهتز لها، وترددها خاشعة متذلة خاضعة.

ومن منا لا يحس حين يتلوها بالأنس، وبالأمّن
والطمأنينة، ونزول السكينة، فهي الأنس في الخلوة،
والأمّن في الفرَج في الشدة.

ومن منا لم يقشعر جلده وهو يسمعها منصتاً خلف
الإمام بمقاطعها وفواصلها التي يقف معها الشعرُ ابتداءً

قراءة خاشعة لأمر القرآن ١

بالصفة المعظمة (رب العالمين) وانتهاء بـ (مالك يوم الدين)
ثم يلين الجلد، وتتذلل الجوارح، وتنحدر الدموع إقراراً
بالعبودية، وتضرعاً في طلب العون والهداية من الباري
العظيم.

ولعظم شأن هذه السورة وضرورة تدبر معانيها ونحن
نقروها في صلواتنا، رأيتُ أن أبرز هذه المعاني بحيث
يمكن الإحاطة بها وتذكرها في أثناء التلاوة في الصلاة.

ومرجعي الرئيسان في هذه الرسالة الجامع لأحكام
القرآن للقرطبي والكشاف للزمخشري، ومرجعي اللغوي
هو الصحاح للجوهري، وما وجد خارجاً عن هذه المراجع
الثلاث فهو اجتهاد اجتهدته، أدعو الله عز وجل أن يشيني
عليه أجرين . . إنه نعم المولى القريب المجيب .

١٠ قراءة خاشعة لأمر القرآن

أمّ القرآن

روى الترمذي عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني...»

وسُميت الفاتحة أمّ القرآن لأنها أوله، وأول الشيء يُسمى أمّاً، ولذلك سميت مكة أمّ القرى لأن الأرض دحيت منها، وسميت الوالدة أمّاً لأن النسل منها، وسميت الأرض أمّاً لأن الإنسان خلق منها.

وربما تكون سميت بأمّ القرآن لأنها تتضمن كليّاته التي يدور حولها، لأن أمّ الطريق معظمه، وأمّ الدماغ الجلدة التي تجمع الدماغ، وهي التي يقال لها أمّ الرأس، وأمّ النجوم المجرة، من حيث إنها مجتمعتها.

والكليات التي تضمنتها الفاتحة وعليها مدار القرآن

هي:

١- الشاء على الله عز وجل بما هو أهله من صفات الكمال والجلال، فهو وحده رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وحمد الله والثناء عليه بهذه الصفات لباب توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

٢- تخصيصه سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، والاعتراف والإقرار بالعجز، وطلبُ العون منه جل وعلا، وهذا لباب توحيد الألوهية.

٣- الاعتراف بالجزاء، وما يستتبع هذا الاعتراف من رغبة في نوال الخير العميم في جنات النعيم، ورهبة من مساس الهول العظيم ومذاق العذاب الأليم.

٤- التأسى بالذين أنعم الله عليهم من الأنبياء وأتباعهم،
وتوقي سبيل الذين استحقوا غضب الله وأشياعهم.

اللهم اجعلنا من المثنين عليك بما أنت له أهل يا أهل
الثناء والمجد، يارب العالمين ويارحمن ويارحيم أجرنا
عذابك يوم الدين، وأدخلنا في رحمتك مع عبادك النبيين
والشهداء والصالحين، فنحن عبيدك المقرون بربوبيتك
وألوهيتك وأسمائك وصفاتك، المعترفون بعجزهم
وتقصيرهم، المتبرئون من حولهم وقوتهم، طالبين العون
منك، والاستقامة على سواء الصراط، صراط الذين
أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين.

في رواق اللغة

لا بد من المرور في هذا الرواق قبل الوصول إلى المدخل فابتداء القراءة، نتعرف من خلاله المعاني اللغوية لكلمات الفاتحة وما يلحق بها من الاستعاذة والبسمة والاختتام بآمين.

الاستعاذة: فالعياذ بالشيء هو الالتجاء إليه وطلب الحماية والوقاية منه.

ولفظ الجلالة (الله) علم للذات الإلهية المقدسة، ومن قال باشتقاقها اختلفوا اختلافاً كبيراً.

والشيطان من الشيط بمعنى احتدام الغضب، أو من الشطن بمعنى الحبل أو البعد، وهذه المعاني كلها تصدق على إبليس أعاذنا الله من شيطه وبعده عن الحق وحبائله وأشطانه.

والرحيم بمعنى المرجوم، وهو الذي يُرمى أو يقذف
بشيء ما، وقد رُمي إبليس بلعنة الله.

البسمة: والاسم إما أن يكون من السموّ، حيث إنه
رفعة للمسمى وشرف له، أو من الوسم بمعنى العلامة،
فهو كالعلامة يميز المسمى عن غيره.

والرحمن والرحيم صفتان من صفات الله عزّ وجلّ
مشتقتان من الرحمة، وهي الرقة والتعطف ومن ثمّ
الإنعام، والرقة التي هي انفعال نفسي مستحيلة في حقه
تعالى، فرحمته صفة له سبحانه، وأثرها إنعامه وتفضله
على عباده بالغفران والثواب. والرحمن صفة مشبهة باسم
الفاعل للمبالغة، والرحيم صيغة من صيغ مبالغة اسم
الفاعل، والفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل أنها تدل
على صفة ثابتة في الموصوف بها، أما اسم الفاعل فيدل
على صفة متجددة، وصيغة مبالغة اسم الفاعل تدل على

صفة متجددة متكررة بكثرة، والرحمة صفة من صفات الله الثابتة، وهي أيضاً متجددة بالنسبة لعباده، فهو رحيم الأولين والآخرين ورحيم الإنس والجن والملائكة والعالمين، فرحمته متجددة لمخلوقاته أنا بعد أن .

الحمد: الحمد هو الثناء والوصف بالجميل، وهو أعم من الشكر، لأن الشكر يكون مقابل نعمة مخصوصة، وهو خلاف الذم قريب من المدح، إلا أن المدح يكون ثناء على خلال معينة مكتسبة في الممدوح يظهرها المادح بكلامه، وليس كذلك الحمد الذي هو ثناء على المحمود بمجموع خصاله الثابتة الدائمة، وشكر له على إنعامه وآلائه السابغة .

الرب: هو المالك والمربي الذي يتعهد المربوب بالرعاية والعناية، أو السيد الذي يتولى المسود بالتوجيه والوصاية .

العالمين : جمع عالم ، وهو اسم يطلق على كل مجموعة متجانسة من الخلائق ، فيقال عالم الإنس وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، وعالم الحيوان ، وعالم الجماد .

المالك : هو المتصرف فيما يملك ، والمَلِكُ هو صاحب السلطة على جماعة من الناس .

يوم الدين : الدين هنا بمعنى الجزاء والحساب ، ودان بمعنى جازى .

نعبد : نخضع ونتذل ونطيع .

نستعين : نطلب العون .

اهدنا : الهداية أو الهدى خلاف الضلال ، وهي درجات ، فهناك الهداية التكوينية ، وهي هداية الخلائق إلى ما به استمرار وجودها ، والهداية الإرشادية ، وهي نصب البراهين التي هي بمثابة أعلام على الطريق

ومنارات، والهداية التوفيقية، وهي التي خص بها الله عباده الباحثين عن الحق المجتهدين في الوصول إليه.

الصراط: الطريق، وأصله السراط من سراط بمعنى بلع لأن الطريق يتلع الماشين فيه.

المستقيم: المعتدل الذي لا عوج فيه.

أنعمت: تفضلت عليهم بالنعمة، والنعمة هي الخيرات التي يتنعم بها الانسان أي تجعل حياته ناعمة لينة، وأفضل نعمة هي نعمة الإسلام.

المغضوب عليهم: هم اليهود، وكل من استحق غضب الله، والغضب انفعال نفسي يثيره أمر يضاد رغبة النفس أو يمنعها، ويترتب عليه الانتقام ممن أحدث ذلك الأمر، والله سبحانه وتعالى مُنَزَّهٌ عن الانفعالات الجارية على الخلق، فغضبه صفة له سبحانه، أثرها انتقامه وعقوبته.

الضالين : النصارى وكل من لم يهتد إلى الصراط
المستقيم ، والضلال درجات ، وقد يسمى الباحث عن
الحقيقة ضالاً قبل الاهتداء إليها ، وعلى ذلك يفسر قوله
تعالى : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ ومصير الضلال الهلاك
لذلك ربما سُمي الهالك ضالاً ، والضال هالِكاً .

أمين : معناه استجب للدعاء .



المدخل

يمثل مدخل هذه القراءة شيئان : أولهما الاستعاذة والثاني البسمة .

١- الاستعاذة : أمر الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة

عند قراءة القرآن فقال عز وجل : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (١) .

وللاستعاذة صيغ متعددة أشهرها (أعوذ بالله من

الشيطان الرجيم) وأشملها (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) .

وقد عبّر عن الاستعاذة بالفعل المضارع (أعوذ) لأن فيه

دلالة على الحال والاستقبال ، ولأنه قريب في المعنى من اسم الفاعل (عائد) فكأن المعنى ، أنا عائد بالله الآن

ومستقبلاً .

واختيرت صفة الرجيم من بين صفات الشيطان

الأخرى ، لأن فيها جماع صفاته ، فهو المرجوم باللعنة إلى

(١) الآية ٩٨ من سورة النحل

يوم الدين ، والرجم باللعة كان نتيجة لاستكباره وغروره
وحسده ، والمرجوم حقير ذليل جدير بأن يُجافى ويُنبذ ،
وفي صفة (الرجيم) مراعاة للفاصلة في نهاية البسمة ،
أعنى صفة الله عز وجل (الرحيم) .

ولأن هذا الرجيم يجري من بني آدم مجرى الدم لم
يكن من سبيل إلى الخلاص من وسوسته وهمزه إلا
باللجوء إلى الله عز وجل ، والاحتماء به سبحانه وتعالى ،
وإخلاص الولاء له ، ليردّ كيد الشيطان في نحره ، ويقي
المستعين به من نفخه وشره ، وإذا أعادنا الله من وسوسته
عند قراءة القرآن سهل علينا تدبر معانيه ، وإدراك أوامره
ونواهيه .

اللهم إني أعوذ بك من همّزات الشياطين وأعوذ بك
ربّ أن يحضرون .

٢- البسمة (بسم الله الرحمن الرحيم)

بسم الله الرحمن الرحيم أبتدىء أو أفتح القراءة، أو بسم الله الرحمن الرحيم ابتدائي أو افتتاحي، والباء هنا ليست للاستعانة، ولو قيل (بالله) لكانت الباء للاستعانة وكلمة (اسم) هنا ليست زائدة، بل مقصودة، والمعنى متبركاً بسم الله الرحمن الرحيم أبتدىء التلاوة، فالباء هنا للملابسة أو المعية، وفي الحديث (كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر) أي مقطوع الخير والبركة، فذكر اسم الله على أمر ما هو للتبرك وإكثار الخير، وفيه تقديس لله عز وجل وتمجيد له وتعظيم، وليس المراد منه طلب الاستعانة.

أما الباء في الاستعاذة فهي للاستعانة وذلك أننا عندما نقول أعوذ بالله فمعناه ألتجىء إلى الله مستعيناً به ليحميني.

والله هو الاسم الأعظم للذات الإلهية المقدسة على رأي، وهو اسم مختص به سبحانه وتعالى، ولذلك ذكرت بعده الصفة المختصة به عز وجل وهي (الرحمن) فهذه الصفة لا يجوز وصف أحد من المخلوقات بها، بخلاف صفة الرحيم التي يجوز إطلاقها على غير الله عز وجل أيضاً.

وإذا كانت صفة (الرجيم) للشيطان منفرة تدعو إلى الفرار منه والابتعاد عنه فإن ذكر صفتي (الرحمن) و(الرحيم) لله عز وجل يدعو إلى الإقبال عليه سبحانه لطلب الرحمة والمغفرة، فبين الاستعانة والبسمة مقابلة من شأنها أن تجعل متدبرها مستعيذاً بالله عز وجل من الشيطان الرجيم في كل حالاته، ومقبلاً على الله سبحانه وتعالى طامعاً في رحمته وبركاته، متبركاً باسمه الأعظم ومفتحاً به كل أمر ذي بال في حياته.

قراءة الفاتحة

جعلتُ البسملة في المدخل ومن شاء جعلها في
القراءة نفسها ، فمن كان مذهبه أنها - أعني البسملة -
ليست بآية من الفاتحة ، وإنما هي للتبرك والفصل بين السور
جعلها في المدخل ، ومن ذهب إلى أنها آية من كل سورة
جعلها في القراءة ، ومذهبي أنها آية من الفاتحة ومن كل
سورة مبدوءة بها في القرآن ، لكونها مكتوبة في
المصحف ، ولكني جعلتها في المدخل للمقابلة الموجودة
بينها وبين الاستعاذة .

الحمد لله رب العالمين : ثناء من الله عز وجل على
نفسه ، وأمرنا وتعليم بحمده والثناء عليه بصفاته ، وأين
حمد البشر له سبحانه من ثنائه هو على نفسه ، وأنى للبشر
ياحصاء الثناء عليه جلّ وعلا ، وقد ورد في الحديث أن
عبداً من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال

وجهلك وعظيم سلطانك . فعضلت بالملكين ، فلم يدريا
كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء ، فقالا : ياربنا إن عبداً
قال مقالة لا ندري كيف نكتبها . قال الله - وهو أعلم بما
قال عبده - : ماذا قال عبدي ؟ فقالا : يارب إنه قد قال :
يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم
سلطانك . فقال الله لهما : اكتبها كما قال عبدي حتى
يلقاني فأجزيه بها .

الحمد لله كلَّ الحمد ، والحمد لله أزلاً وأبدًا ، هذا
دلالة الجملة الاسمية (الحمد لله) فالألف واللام في
(الحمد) للجنس ليستغرق جنس الحمد كله و(الحمد) مبتدأ
خبره (ثابت لله) أي أن الحمد ثابت لله أزلاً وأبدًا ، لا
تعلق له بزمان من الأزمنة ، ولذلك قيل أن ردَّ سيدنا
إبراهيم عليه السلام التحية على ضيفه المكرمين من الملائكة
كان من باب ردِّ التحية بأحسن منها ، وذلك في قوله تعالى

حكاية عنهم ﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾ (١) فتقدير سلام
الملائكة: نسلم عليك سلاماً، فالجملة هنا فعلية، والجملة
الفعلية تكون ذات ارتباط بزمن من الأزمنة الثلاثة، أما
تقدير جواب سيدنا إبراهيم عليه السلام فهو: سلامٌ ثابت
عليكم، فلم يرتبط سلامه بزمن معين، ومعلوم أن السلام
الدائم الثابت أحسن من السلام الآني.

وفي قوله سبحانه (رب العالمين) إشعار للإنسان بأنه
ليس وحيداً في هذا العالم، فثمة عوالم أخرى خلقها الله
عز وجل، وعالم الإنس واحد من هذه العوالم، ولأن
خالق هذه العوالم ربّ واحد هو الرحمن الرحيم يشعر
المؤمن بالأنس والتآلف مع بقية العوالم.

والإنسان تحيط به الطبيعة، والطبيعة عالم أو عوالم
مسخرة للإنسان بأمر الله، وما تسقط من ورقة ولا تتحرك

(١) الآية ٦٩ من سورة هود.

من ذرة في الطبيعة إلا بإذن رب العالمين الرحمن الرحيم،
فنواميس هذه العوالم المسخرة للإنسان موضوعة على أنها
رحمة من الله لهذه العوالم من جهة، وللإنسان من جهة
أخرى، فما دام الإنسان في الدائرة التي أرادها له الله
سبحانه وتعالى جنى من ثمار تلك الرحمة بقدر التزامه
بالحدود المرسومة له، ولكن إذا تجاوز حدود ما أنزل الله
إليه، وحدود الدائرة المرسومة له في هذه العوالم لم يأمن
نزول النقمة بدلاً من جني النعمة.

وعلى هذا فليس في حس المسلم صراع مع الطبيعة
وإنما يوجد تآلف وتعارف وتعاون بينه وبين الطبيعة، وإذا
كان المسلم يحس بالتآلف ويسعى للتعارف مع الطبيعة
حوله فإنه مع أخيه الإنسان أشد تآلفاً وتعارفاً وتعاوناً، فإذا
كان أخوه الإنسان مثله مسلماً أحب له مثل ما يحب لنفسه
بل أثره على نفسه، وأذا أحس بالتآلف والتعارف مع أخيه

الإنسان، وشعر بمثل ذلك مع الطبيعة من حوله كُفي شر هذه الصراعات التي تعرقل سير البشرية نحو الخير الذي أرادَه الله سبحانه وتعالى لها، وجنى ثمار رحمته -سبحانه- التي وسعت كل شيء.

والذي يثني على الله عز وجل بهذا الوصف (زب العالمين) مقرّ بربوبيته سبحانه، فهو الذي يربّ العوالم كلها، وهو القائم عليها بعد أن خلقها، يمسخها من الزوال، ويتعهدا بالصون والإنماء، ويحيطها برحمته سبحانه وتعالى، فهو الرحمن الرحيم.

الرحمن الرحيم: صفتان جليلتان من صفاته سبحانه وتعالى، وكل صفاته جليّة، واسمان من أسمائه الحسنی ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنی﴾^(١) يجعلان المؤمن يعيش في رحابة الرجاء وسعته

(١) الآية ١١٠ من سورة الإسراء.

بعيداً عن ضيق اليأس ومُخْتَنَقَه ، فكلا الوصفين مشتق من
الرحمة على سبيل المبالغة ، وجدير بالثني بهما على الله عز
وجل ألا تساوره وساوس القنوط مهما احتلكت من حوله
الظروف ، وتذاءبت عليه ريح العوادي والصروف .

مالك يوم الدين : هذه صفة رابعة نثني بها على الله

عز وجل في معرض حمده ، والله عز وجل مالك كل شيء
وملك كل شيء في الدنيا وفي الآخرة ، فهو مالك الأيام
كلها ، فلم خص يوم الدين بأن جعل مملوكاً لله عز وجل
من دون سائر الأيام ، والأيام كلها مملوكة له ؟

لقد شاء عز وجل أن يُملك بعض عبده بعض ملكه
في هذه الحياة الدنيا ، حتى إذا جاء يوم الدين لم يكن ثم
ملك ولا مالك ، فالملك يومئذ لله .

والثني بهذه الصفة على الله عز وجل مقرّ باليوم
الآخر حيث تخشع الأصوات وتعنو الوجوه للحي القيوم .

وهذه الصفة تجعل الإنسان يشعر برهبة عظيمة وخوف من الله كبير، وتجعله يحس بالمسؤولية، فيوم الدين يعني يوم الجزاء، حيث يجد فيه الإنسان ما عمل من خير محضراً، وما عمل من سوء يودّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً. وإذا كانت صفتا (الرحمن الرحيم) تجعلان المؤمن راجياً طامعاً فإن هذه الصفة تجعله خائفاً مترقباً، وبذلك يعيش بين الرجاء والخوف، فلا يطغى الرجاء بحيث يؤدي به إلى إهمال الفروض والواجبات فثمّ خوف رادع، ولا يطغى الخوف عليه بحيث يؤدي إلى شلل حياته فثمّ رجاء طامع.

إياك نعبد وإياك نستعين: خطاب مباشر مع الله عزّ وجلّ رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وهل ثمة منزلة في الدنيا تعدل منزلة من يخاطب ربّ الأرباب وملك الملوك مباشرة؟

وكان منزلة المثني على الله عز وجل بصفاته المذكورة
قد علت بما قدم من حمد وثناء تضمن الاعتراف بربوبيته
سبحانه والتصديق باليوم الآخر والرجاء في رحمة الله
والخوف من عقابه حتى أصبح أهلاً لأن يخاطب الله عز
وجل بضمير الخطاب المباشر (إياك نعبد) وفي هذا
الانتقال من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب الذي
يسمى في علم البلاغة بالالتفات غير ما ذكره الزمخشري
من أنه تطرية لنشاط السامع وإيقاظ له للإصغاء للكلام
أقول: فيه غير ذلك أنه تعليم للعبد المؤمن بأن يقدم بين
يدي مخاطبة الله عز وجل مباشرة الحمد والثناء عليه جل
وعلا، وتمجيده، وتقديسه وتنزيهه، والإقرار بربوبيته
والتصديق بوعدته ووعيده، حتى إذا أحس بضعفه وعجزه
وقلة حيلته وأن الأمر كله بيد ربه سبحانه ترقى إلى خطاب
الله مباشرة واعترف أمامه بعبوديته وذله وطلب منه العون
في كل أموره.

قراءة خاشعة لأمر القرآن ٢١

وقُدِّم الضمير (إياك) لتخصيص الله عز وجل
بالعبادة وإفراده بالألوهية، فهو وحده الإله المستحق
للعبادة، ومنه وحده يطلب المدد والعون، فبيده مقاليد
السماوات والأرض. ولم يقيد الفعل (نستعين) بمفعول
معين لتكون الاستعانة مطلقة شاملة أمور الدين والدنيا.

واستخدمت صيغة الجمع في (نعبد) و (نستعين)
إشعاراً بوحدة المسلمين وتآلفهم وتكاتفهم، وأنهم صف
واحد، وإشارة إلى أن الأصل في الصلاة أن تؤدي
جماعة، وأن المسلم ولو صلى منفرداً، دعا لنفسه ولجميع
إخوانه المسلمين الذين يشاركونه في الإقرار بربوبية الله عز
وجل وألوهيته والتصديق بوعدته ووعدته. وقُدِّم الإقرار
بالعبودية على طلب العون لأن العبادة غاية الوجود
الإنساني، ولأن الذي أقر بربوبية الله عز وجل لا بد أن يقر
بألوهيته قبل أن يطلب منه العون، ولأن العبادة عامة

والاستعانة بالله نوع من أنواع العبادة، وللإشعار بأن تقديم
العبادة سبب لاستجابة الدعاء وإرسال المدد، فضلاً عن
مراعاة الفاصلة في قوله (مالك يوم الدين) قبل هذه الآية
وقوله (الصراط المستقيم) بعدها.

اهدنا الصراط المستقيم: بعد الإقرار بألوهيته سبحانه
وتعالى والتبرؤ من الحول والطول وطلب العون من رب
العالمين، يأتي الإرشاد إلى أعظم طلب يطلبه المؤمن، وهو
أن يهديه الله عز وجل صراطه المستقيم ويزيده هدى وثباتاً
على هذا الصراط، وصراطه المستقيم هو دين الإسلام
الذي من ابتغى غيره فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من
الخاسرين.

إن المقر بربوبية الله عز وجل وألوهيته مهتد هداه الله
إلى صراطه المستقيم فما باله يطلب الهداية من الله عز
وجل؟

إنه يقول (اهدنا الصراط) ولا يقول اهدنا إلى الصراط ،
وهذا يعني أنه ليس بخارج عن الصراط في الأصل ، وإنما
يريد أن يعصمه الله فلا يزيغ عن الصراط ، وأن يزيده هدى
وثباتاً ، وأن يرشده إلى أفضل الوسائل في سلوك هذا
الصراط ، فهو صراط مستقيم ولكنه واسع لاجب ، تختلف
وسائل الذين يمشون فيه ، فمنهم من يمشي ببطء ، ومنهم من
يمشي تتنازعه الأهواء نحو حواف الطريق حيث يبدأ
الانحراف والعياذ بالله ، ومنهم من يمشي مسرعاً بهمة
ونشاط ، كل بحسب ما آتاه الله من هداية وتوفيق إلى أن
يلقوا ربهم .

صراط الذين أنعمت عليهم : تفصيل بعد إجمال ،
وفي التفصيل بعد الإجمال تأكيد على طلب الثبات على هذا
الصراط ، والذين أنعم الله عليهم هم الأنبياء والشهداء
والصديقون والصالحون من عباد الله . أنعم الله عليهم

بهدايتهم صراطه المستقيم الذي يهديهم رضوان الله
والنعيم الدائم المقيم، وينجيهم من عذاب يوم أليم، وهذا
هو غاية الإنعام، وكل نعيم غير ذلك النعيم ظل زائل،
والمنعمون فيه إن كانوا على غير هدى سرعان ما يدركون
أنهم كانوا في الضلال وزيف الباطل.

غير المغضوب عليهم ولا الضالين: وصف للذين

أنعم الله عليهم، فهم ليسوا من الذين استحقوا غضب الله
وانتقامه وعقابه، وليسوا من الذين ضلوا سواء السبيل،
فكانوا مع إخوانهم المغضوب عليهم من الهالكين وفي
الأذلين.

واستحق اليهود غضب الله بقتلهم الأنبياء وافتراءهم
الكذب عليهم وعصيانهم واعتدائهم وتعديهم حدود الله،
وضل النصارى ما دعاهم إليه المسيح عليه السلام فادعوا
أن المسيح ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ففُتروا

مع إخوانهم اليهود، ولكن لما كان اليهود أشد عداوة للذين آمنوا من النصارى قدموا عليهم، فاليهود أولى بأن يبتعد عنهم، وإن كان الابتعاد عن الفريقين مطلوباً ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (١).

ولم ينفع اليهود اسمهم ولا كونهم من قوم موسى عندما قتلوا الأنبياء وعصوا وافتروا، فقد استحقوا غضب الله، وكل من يعمل بعملهم يلحق بهم، وإن كانوا اسماً من المسلمين من قوم محمد ﷺ أعادنا الله من كيدهم ومن اتباع سلوكهم.

ولم يُذكر فاعل الغضب كما ذكر فاعل الإنعام، لأن الإنعام بالهداية فضل كبير يستحق فاعله الحمد والشكر سبحانه وتعالى، ولأن الغضب مأل مستحقه وخيم والمقام مقام طلب هداية وإنعام، فذكر فاعل الإنعام

(١) الآية ١٢٠ من سورة البقرة.

وحذف فاعل الغضب، وللإشارة إلى أن الله سبقت
رحمته غضبه.

والمقابلة الموجودة بين (الذين أنعمت عليهم) وبين
(المغضوب عليهم) فائدتها الترغيب في اتباع سبيل
المؤمنين، والترهيب من اتباع سبيل المجرمين.

خاتمة القراءة

أمين يارب العالمين ، استجب لنا ، وأجب دعواتنا ،
نحن المثنين عليك المقربين بربوبيتك وألوهيتك دون سواك
المتبرئين من حولهم وطولهم ، المستعينين بك وحدك لا
شريك لك . . أجب دعواتنا بهدايتنا صراطك المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

تمت بحمد الله الرسالة التي سميتها (قراءة خاشعة لأم
القرآن) وأدعو الله عز وجل أن ينفع بها إخواني المسلمين
الذين هم على صلاتهم دائمون ، لعلهم إذا رفعوا الأكف
مستغفرين بالأسحار . . يذكرونني فيستغفرون لي مع من
يستغفرون لهم . والحمد لله مُفْتَحاً وَمُخْتَمَماً . . وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

وكتبه الراجي عفوره

بهاء الدين بن عبد الوهاب بن ملا أحمد بن عبد الرحمن

الفهرس

٥	دعاء
٧	فاتحة القراءة
١١	أم القرآن
١٤	في رواق اللغة
٢٠	المدخل
٢٢	البسمة
٢٤	قراءة الفاتحة
٣٨	خاتمة القراءة
٣٩	الفهرس